منهج الحوار القرآني مع أهل الكتاب ومعالجته لظاهرة التحريف

أ. أمة الرحمن عتيق الحميدي
باحثة ماجستير - برنامج الأديان وحوار الحضارات - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر
aalhamidiedu@gmail.com

ملخص البحث:

هذا البحث يدرس منهج الحوار القرآني مع أهل الكتاب من حيث الأسس النظرية والقواعد التطبيقية، كما يتناول مقاصد أهل الكتاب من التحريف وطرق معالجته، ويتناول البحث تحديد أنواع الحوار التي ارتكز عليها القرآن في حواره مع أهل الكتاب خاصة ومع المخالفين عامة، مبيناً أن هذا الحوار مشروع إصلاحي يهدف إلى إقامة الحجة وإظهار الحق وتصحيح المفاهيم.

كما أن البحث يعد أساساً لتحديث ثقافة التعايش الديني والاجتماعي وفق حدود قائمة على الوضوح والصدق، ركز على تحليل بعض النماذج من التحريف، لينتهي البحث بإبراز عظمة منهج القرآن في كشف التحريف ومواجهته بالحكمة والموعظة الحسنة.

الكلمات المفتاحية: الحوار، الأديان، الإسلام، التحريف، الأديان الكتابية، القرآن، الدعوة.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٠٦/٢٥م
تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٠٧/١٧م
تاريخ النشر: ٢٠٢٥/٠٨/٣١م

الإحالة: الحميدي ، أ. أمة الرحمن عتيق ، ٢٠٢٥م، منهج الحوار القرآني مع أهل الكتاب ومعالجته لظاهرة التحريف ، مجلة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية (علميَّة - دوريَّة – محكَّمة) ١٢-٥٠، ص ص ٤٠-٦٨.

The Qur'anic dialogue method with 'People of the Book' and distortion treatment

Ms. Amatalrahman Ateik Alhamidi

MA Student, Religions and Dialogue of Civilizations Program, Fauclty of Sharia and Islamic Studies, Qatar University

Received (date): 25/06/2025
Accepted (date): 17/07/2025
Published (date): 31/08/2025

Abstract:

This article aims to study the Qur'anic method of dialogue with 'People of the Book' in terms of its theoretical foundations and practical principles. It also addresses the objectives of this distortion and treating it. The study discusses the types of dialogue on which the Holy Qur'an relied on in its discourse with 'People of the Book' in particular and with opponents in general. It is also considered a basis for renewing the culture of religious and social coexistence within boundaries founded on clarity and honesty. It concludes with highlighting the greatness of the Qur'anic method in uncovering distortion and confronting it with wisdom and good exhortation.

Keywords: Dialogue, religions, Islam, distortion, scriptural religions, Qur'an, Da'wah .

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. وبعد،

فإن قضية الحوار بين الإسلام والأديان الكتابية خاصة، تحتل مكانة محورية في القرآن الكريم، إذ أن ثلث قصص القرآن الكريم تناول أهل الكتاب" اليهود على وجه الخصوص" فنصوص القرآن الكريم قد أرست دعائمه، ووجهت مقاصده نحو تحقيق الهداية، وإيضاح الحق ودحض الباطل بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

ويتشكل في هذا الحوار بعدان أساسيان أحدهما: دعوي يهدف إلى بيان الحق ودعوة المخالف إلى الحوار، والآخر: عقدي يهدف إلى كشف أوجه التحريف عندهم مع معالجته لمقاصد الانحراف ودوافعه وأساليبه.

ومن هذه الأهمية انطلق هذا الموضوع المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدعوة الإسلامية المعاصرة، وجاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على المنهج القرآني في محاورته لأهل الكتاب وكيف عالج القرآن ظاهرة التحريف من خلال تحليل بعض النماذج وإبراز آليات معالجة القرآن لهذه الظاهرة، ثم كيف يمكن تطبيق هذه الأساليب على الواقع الدعوي.

أهمية البحث:

لهذه الدراسة أهمية كبيرة وذلك لعدة اعتبارات أهمها ما يلي:

١. تظهر أهمية هذه الدراسة بدايةً في تعلقها بالقرآن الكريم وارتباطها به بصفته أشرف الكتب وأحسنها كلاماً.

٢. كونها تسهم في تعزيز الفهم العميق لنهج القرآن الكريم في حواره مع المخالفين وتوضيح البعد الحضاري في خطاب القرآن الكريم والذي يقوم على العدل والإنصاف والحكمة.

٣. الدفاع عن مصداقية الرسالة وحقيقة الوحي من خلال توثيق أنواع التحريف وإبرازها بطريقة منهجية.

٤. تقدم الدراسة مجالاً معرفياً قوياً للدعاة والمهتمين بالحوار الديني لمواجهة شبهات العصر ضمن إطار علمي رصين.

٥. إثراء المكتبة العلمية بدراسة تحليلية تجمع بين دفتيها الجانب الدعوي والجانب العقدي وفق معايير البحث العلمي المعاصر.

إشكالية البحث:

تتمثل إشــكالية البحث في أنه يحاول الإجابة عن أســئلة ملحة. **الســؤال الرئيس الآتي:** كيف عـالج القرآن الكريم ظاهرة التحريف للنصــوص الـدينيـة عند أهل الكتـاب وما مدى إمكانية استثمار هذه المنهجية في الحوار المعاصر؟

- **ويتفرع منه الأسئلة الفرعية الآتية:**

١. ما هي المفاهيم القرآنية للحوار مع أهل الكتاب؟
٢. ما هو المنهج القرآني لمحاورة أهل الكتاب؟
٣. ماهي مقاصد أهل الكتاب من التحريف؟
٤. كيف يمكن اســتثمار هذه المنهجية القرآنية في الحوار المعاصــر خاصــة في ظل التحديات الإعلامية والدعوية؟

أهداف البحث:

١. التعريف بمصطلحات عنوان البحث ومافهيمه، وبيان أهمية الحوار مع أهل الكتاب.
٢. إبراز منهج القرآن في حواره مع أهل الكتاب وبيان أنواعه ووسائله.
٣. كشف مقاصد أهل الكتاب من التحريف وكيف عالج القرآن هذه التحريفات.
٤. عرض بعض نماذج التحريف وتناولها بالتحليل والنقد من التراث الإسلامي.

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي والتحليلي والاستقرائي.

الدراسات السابقة:

نظرا لأهمية طرح هذه الجزئية من الدراســات الســابقة، وذلك لإبراز أهمية الاطلاع على جهود الباحثين السـابقين الذين تطرقوا لموضوع الحوار وظاهرة تحريف أهل الكتاب للنصوص المقدسة، فإن الدراسـات السـابقة تمثل لبنة أولية لا غنى عنها لفهم ما تم إنجازه في هذا الميدان، واسـتخلاص ما تدعو الحاجة إلى استكمال البحث عنه.

١. الزهراني: مشــرف بن أحمـد جمعـان، **خصـــائص الحوار القرآني مع أهـل الكتـاب،** ٢٠١١م، (بحث علمي محكم) مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/148107

تناول البحث أهمية الحوار في التواصــل الحضــاري كانطلاقة لدراســته، ومســاهمة الدين الإســلامي في هـذا الميـدان، وركز البـاحـث على تخصــيص الحوار مع أهل الكتـاب وتطرق لبعض القضايا عن التحريف والتوحيد ونبوة محمد-صلى الله عليه وسلم-، والسعي نحو التقارب.

ثم فصل في الخصـائص للحوار القرآني مع أهل الكتاب وأنه خاطب العقل والوجدان من خلال الترغيب والترهيب، هذه الدراسة تتقاطع مع بحثي في التفصيل عما يخص قضية التحريف، إلا أنها

تناولت جوانب في التحريف من زوايا معينة ثم إنه لم يفصل في تحليل مقاصد أهل الكتاب من التحريف، من هنا جاءت دراستي لتسهم في سد هذه الفجوة.

٢. أبو رأس: هود محمد منصور قباص، **الخطاب القرآني لأهل الكتاب وموقفهم منه قديما وحديثا**، ٢٠١١م، ماليزيا، جامعة ملايا. (بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه)

قام الباحث بجمع الآيات القرآنية ذات المدلول الخطابي لأهل الكتاب، ثم قسمها إلى مواضيع رئيسية وأورد أقوال المفسرين وأهل العلم فيها ووصف من خلالها أهل الكتاب قديما وحديثا وبين موقفهم من القرآن، واعتمد المنهج الاستقرائي والتحليلي والتفسيري.

وتوافقت نتائج الدراسة مع أهدافها وأظهر الباحث هذه النتائج بأسلوب واقعي لزمن دراسته ومعالجته لظاهرة الإساءة للنبي الكريم محمد -صلى الله عليه وسلم- والذود عن الرسالة الخاتمة.

إلا أن هذه الدراسة لم تتطرق إلى بيان منهج القرآن في معالجة ظاهرة التحريف تفصيلا واكتفى بالإشارة إليها فقط دون التحليل للأساليب القرآنية في مواجهة التحريف؛ ومن هنا تأتي أهمية بحثي في تركيزه على الجمع بين التأصيل العقدي والتحليل الدعوي مع استقراء نماذج التحريف من القرآن الكريم في الوقت ذاته وفق منهجية نقدية علمية.

٣. القاسم: خالد بن عبد الله، **الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة**، ١٤١٤هـ، الرياض، دار المسلم. (رسالة ماجستير)

الباحث يرى أن له أسبقية في طرح هذا الموضوع من ناحية التوسع في معالجة قضايا الحوار مع أهل الكتاب قديما وحديثا، وناقش في دراسته فصلين الأول: خصائص الإسلام، والثاني: الحرية في الشريعة الإسلامية، لأنه برأيه يرى أن هذين أساسان مهمان ليحاور المؤمن أهل الكتاب، والباحث اكتفى بوصف الحوار ومنهجه وشروط المتحاورين، إلا أنه لم يتطرق للمقاصد من الحوار ولم يذكر في ثنايا دراسته ما يشير للتحريف وأساليبه والحاجة للحوار، من هذا المنطلق يستكمل بحثي هذا المجال.

هيكل البحث:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وفيها أهمية البحث ومشكلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: التأصيل النظري للحوار القرآني مع أهل الكتاب، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث.

المطلب الثاني: أهمية الحوار في القرآن الكريم مع أهل الكتاب

المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في الحوار مع أهل الكتاب، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أنواع الحوار القرآني مع أهل الكتاب.

المطلب الثاني: أساليب ووسائل القرآن الكريم في محاورة أهل الكتاب.

المبحث الثالث: مقاصد أهل الكتاب من التحريف وموقف القرآن الكريم منها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نماذج من التحريف عند أهل الكتاب.

المطلب الثاني: مقاصد أهل الكتاب من التحريف ومنهج القرآن في معالجتها.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المراجع والمصادر.

المبحث الأول: التأصيل النظري للحوار القر آني مع أهل الكتاب

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث

أولاً: المنهج:

أ- **اللغة:** نهج أي طريق نهج، بين واضح، وفي التنزيل:" لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً"[١]

ب- **الاصطلاح:** هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة [٢]

ثانياً: أهل الكتاب:

أ. **أهل:** أهل الرجل: من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراه من صناعة وبيت وبلد، والأهل للمذهب: من يدين به ويعتقده[٣]

ب. **الكتاب:** ما يكتب فيه، والكتاب: الدواة يكتب منها.[٤]

ج. **اصطلاحا : أهل** الكتاب: هما الطائفتين التي أُنزل عليهما الكتاب من قبلنا-اليهود والنصارى-[٥].

وعند الشوكاني، **أهل الكتاب**: هم نصارى نجران، وقيل: يهود المدينة، وقيل اليهود والنصارى جميعاً.[٦]

ثالثاً: تعريف الحوار:

أ. وهو في اللغة كما يقول الزبيري: من الحور: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء كالمحار والمحارة والحؤور، بالضم في هذه وقد تسكن واوها الأولى وزاد الزبيدي على هذا بقوله (الحور: النقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال.) [٧]

وهو إنما أراد بهذا المعنى أن يربط الحوار بجذر " الحور" بمعنى الرجوع، أي أن الحوار فيه نوع من العودة والتكرار في النقاش.

وسبقه بن منظور في تعريفه للحوار وزاد عليه شواهد من استعمال العرب بقوله:(المحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، ...وما جاء تني عنه محوره أي ما رجع إلي عنه خبر، وإنه لضعيف الحور أي المحاورة....)(٨)

وهو بتعريفه يميل إلى البعد العقلي والمنطق في المجاوبة، ويبرز البعد الجدلي للحوار ويقربه من المناظرة والمنطق.

واعتبر أبو المعالي الجويني الجدل حوارا من حيث إنه نظر وحديث قائم على المفاعلة وعلى أسلوب التدافع الذي لا يزيد الوصول إلى الحقيقة إلا قوة ووضوحا، لأنه احتكاك بين اثنين يبغي كل واحد منهم الحقيقة لوجه الله.(٩)

وهذه صياغة معاصرة مع توسيع لمفهوم الحوار وهو تطور نتيجة تحولات وسائل التواصل الإنساني في العصر الحديث

ب. ألفاظ ذات صلة:

١.**المناظرة:** وهي في اللغة: (النظر وهو أعم من القياس لأن كل قياس نظر، وليس كل نظر قياسا، والمناظرة: هي المباحثة والمبارزة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته)(١٠)

وذكر الشنقيطي أن المناظرة تعني: (المقابلة بين اثنين كل منهما ينظر إلى الآخر، أو كل منهما ينظر بمعنى يفكر، والفكر هو المؤدي إلى علم أو غلبة ظن.

والمناظرة في الاصطلاح: المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق، فكأنها بالمعنى الاصطلاحي مشاركتهما في النظر الذي هو الفكر المؤدي إلى علم أو غلبة ظن ليظهر الصواب..)(١١)

في تقديري فإن الشنقيطي في تعريفه للمناظرة يظهر نضجاً منهجياً يربط بين غاية المناظرة ووسائلها وحدودها الأخلاقية، وهو ما جعله تعريفا تربويا نافعا للتعليم والدعوة، أما عند الأصفهاني فتعريفه أقرب للجذر المعجمي الذي يشير إلى معاني الحوار والجدل بين الأنبياء وأقوامهم في الاستعمال القرآني في إطار تحكيم العقل والمنطق.

٢.**الجدل:** تناول الإمام الباجي مفهوم الجدل من زاوية لغوية وتاريخية فأشار إلى أن لفظ "جدل" وردت في القرآن الكريم ٢٩ مرة بصيغ متعددة كالأمر والنهي والإخبار، ما يدل على أهمية هذا المصطلح في الخطاب القرآني مع المخالف، كما أبرز الباجي البعد الاصطلاحي للجدل با عتباره منهجاً إلهياً سلكه الأنبياء -عليهم السلام-، كما فرق القرآن بين الجدل المحمود الذي يراد به وجه

الله، والمذموم الذي يقابل الحق، وهذا جعل من الجدل قيمة عالية في المنهج القرآني ارتبطت بغايته وبما يتضمنه(١٢)، وعلى هذا وجب على المسلم أن لا يترك هذا الأمر اقتفاءً لأثر القرآن الكريم، واتباعاً لشرعه، لا لأن في تركه خذلاناً وعجزاً، قال بن القيم-رحمه الله-"... جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه أو إقامة الحجة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة، فليول ذلك أهله، وليخل بين المطي وحاديها والقوس و باريها....."(١٣)

ولما كان الجدل أحد أهم الأساليب الخطابية التي وردت في القرآن الكريم من أجل بيان الحق ودحض الباطل، كان من الضروري الوقوف على تنوع صوره ووظائفه في الخطاب القرآني، وقد استوقفني هذا السياق لأجد تصنيفاً دقيقاً أورده الألمعي ذكر فيه أن الجدل القرآني يندرج تحت ثلاثة أوجه رئيسية جمعت بين بعد العقيدة والأسلوب التربوي ومقام الرد على الشبهة، وهذا يظهر تنوع المقاصد في القرآن الكريم، وهي:

أ. الجدل بما يحقق الهداية والإقناع، وإثبات العقيدة ورد الباطل: وهذا الوجه إن كان فيه قدر من الإلزام إلا أن ما يميزه كونه موجها للحق داحضاً للباطل، وهي على النحو التالي:

ب. الجدل بقصد الاسترشاد والتعليم: ويأتي بأساليب مختلفة كالإستفهام والاستكشاف والتأمل، ومنه حوار إبراهيم عليه السلام مع ربه حين قال ربي أرني كيف تحيي الموتى، وحوار خولة بنت ثعلبة في أمر المجادلة، الهدف منه الإرشاد والتعليم وليس الخصومة.

ج. الجدل لبيان الباطل: بطلان الحجج العقيمة بالحجج القاطعة التي تبهت الخصم، كحوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ } [البقرة: ٢٥٨]

رابعاً: تعريف التحريف:

مصدر (حرَّف): أي حرَّف تحريفاً فهو محرف، وحرف الشيء: أماله، وحرف الكلام: حرفة وزوره، وغيره، وصرفه عن معانيه، **وتحريف النص** عند المحدثين: الاختلاف بين الأصل المخطوط والنسخ التي أخذت عنه.(١٤)

المطلب الثاني: أهمية الحوار القرآني مع أهل الكتاب:

يعد الحوار القرآني لأهل الكتاب منظومة قيمة أرست دعائم التعايش وأبطلت مظاهر التحريف، وأعادت رونق الرسالة السماوية في سياق من الرحمة والحكمة، وأسست القواعد التي

تشـــكل مرجع أســـاســـي وأولي لأي حوار مع المخالفين، ســـواء من أهل الكتاب أو غيرهم، والحوار القرآني لأهل الكتاب عالج جوانب متعددة من أهمها على سبيل الإيجاز:

أولا: إثبات الحجة و إقامة البرهان على أهل الكتاب: وذلك من خلال إبراز حاجتهم الماسـة إلى الرسالة الخاتمة التي بعث بها النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-(١٥)

باعتبارها المخرج الوحيد من حالة الانحراف العقدي الذي غلب على واقعهم بعد تحريفهم للتوراة والإنجيل، فبين لهم حاجتهم إلى العودة الجادة للحق، والتي لا تتم إلا عبر تصديق بالوحي المبين المنزل على خاتم المرسلين بعد قرون من التيه والتأويل والتحريف للنصوص السماوية، جاء هذا في قوله تعالى: {لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ (١) رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ(٢)فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ } [البينة: ١-٣]

هذه آيات محكمات اختزلت مشهداً تاريخياً عقدياً مركباً عبرت عن خطاب حواري كثيف المعنى موجز اللفظ، شديد الوقع في النفس، ولعل هذا الإيجاز من أرقى صور البلاغة القرآنية يلحظها أُلو الألباب والنهى.

ثانيا: إحقاق الحق و إبطال الباطل:

من خلال ربط الحجة بالوحي والعقل والتاريخ، كإبطال دعواهم الانتماء إلى ملة إبراهيم عليه السلام دون الاستناد إلى دليل صحيح، بقول الله تعالى: {يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ} [آل عمران: ٦٥] هذه الآية فضحت التناقض في دعواهم، فكيف يصح نسبة إبراهيم إلى التوراة والإنجيل وقد جاء قبلهما بزمن بعيد، هنا نجد أن القرآن " كشف تعنتهم وقلة اعتمادهم على منهج منطقي سليم في الجدل والحوار"(١٦)

ثالثا: تعزيز التعايش الاجتماعي:

فمن الأهمية بمكان أن الحوار القرآني يســـعى إلى ترســـيخ قيم التعايش الســـلمي وفق ثوابت وضـــوابط حددت ملامحه ســـورة الممتحنة في قوله تعالى: {لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ} [الممتحنة: ٨] وفي هذا السياق يعلق أبو زهرة مؤكدا على هذه الخصلة في القرآن الكريم بقوله" إن المودة ليست واجبة بالنسبة لأبناء الأمة الواحدة، بل هي واجبة للمخالفين في الدين ما لم يعتدوا على المسلمين ولم يعادوهم"(١٧)

وكلام الإمام في هذا الســـياق بحاجة إلى تحديد وتقييد، فقد يُفهم من كلامه التقليل من شـــأن المودة الإيمانية التي قررتها النصـــوص، وهي من أعمدة بناء المجتمع المســـلم، ليس مجرد انتداب لها وهو ما اتفق عليه المسلمون دون اختلاف.

والذي يظهر لي من كلام أبي زهرة إنما كان مقصده -من خلال سياق كلامه- هو دفع مظاهر الغلو والتشدد في معاملة غير المسلمين المسالمين منهم، وبرأيي أن الإمام -رحمه الله- على علو مكانته العلمية، إلا أنه أسرف في تأكيده على مودتهم، وعرضه لها بمعزل عن التأكيد في أصل الأخوة الإيمانية وفي مقدمتها المودة والتراحم، والأحرى في هذا الأمر أن يُوازَن بين المودة للمسلمين قلبا وقالبا وبين العدل والإحسان لغير المسلمين بوصفه خلقاً دعوياً وقيمة إنسانية، وبهذا نوفق بين الولاء العقدي والسماح في التعامل.

رابعا: التمهيد للدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة:

وفيه تحقيق لمصلحة المسلمين فإن التحاور مع أهل الكتاب قد يفضي إلى عدة فوائد فمثلاً تكشف عن بعض طرقهم وأساليبهم في تنصير المسلمين، كما أن الحوار معهم قد يمنح الفرصة للدعاة إلى نشر الإسلام في بلاد غير المسلمين، وهو مكسب لا يمكن غض الطرف عنه، وقد وجه القرآن هذا الحوار لأهميته وضبط شروطه في قوله تعالى: {وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ } [العنكبوت: ٤٦]

المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في الحوار مع أهل الكتاب:

الحوار القرآني لأهل الكتاب جاء بأسلوب راقٍ متدرج قائم على مراعاة أحوال المدعوين، مرتكزاً على مبدأ الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، فحاور أهل الكتاب واعتنى بمحاورتهم بالدرجة الأولى لما لهم من علم ومعرفة سابقة بالرسالة السماوية انطلاقا من قوله تعالى: {ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ} [النحل: ١٢٥]

فالحكمة تخاطب العقول وتُبنى على الحجج والبراهين، والموعظة الحسنة تخاطب الروح والوجدان، أما الجدال بالتي هي أحسن، فيقع مع ذلك المخالف المتعنت الذي مع عناده يجب تجنب التعنيف حتى في مقام الرد والدفع، وبيان ذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: أنواع الحوار القرآني مع أهل الكتاب:

من خلال استقراء الأدلة القرآنية للحوار مع أهل الكتاب، يتضح للمتأمل أن الحوار اتخذ أساليب متعددة، ترجع إلى طبيعة السياق وغرض الرسالة، من هنا يمكن تصنيف هذه الحوارات فيما يأتي:

١. الحوار التأهيلي:

فيه تهيئة النفوس قبل الخوض في ثنايا الحوار، ولعل أهم أسلوب يعبر عن هذا النوع هو التذكير بالنعم لتستأنس به النفس ويمهدها لقبول الحوار والاستعداد له.

ومن ذلك قوله تعالى: {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ} [البقرة: ٤٠]

وأعمق من تناول هذا النوع من الحوارهو الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره مفاتح الغيب بقوله: "واعلم أنه سبحانه وتعالى إنما ذكرهم بهذه النعم لوجوه

أحدها: أن في جملة نعم ما يشهد بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وهو التوراة والإنجيل والزبور.

وثانيها: كثرة النعم توجب عظم المعصية فذكر هم بتلك النعم لكي يحذر هم من المخالفة.

وثالثها: أن تذكير النعم الكثيرة يوجب الحياء عن إظهار المخالفة.

ورابعها: أن تذكير النعم الكثيرة يفيد أن المنعم خصهم من بين سائر الناس بها ومن خص أحدا بنعم كثيرة فالظاهر أنه لا يزيلها عنهم لما قيل: إتمام المعروف خير من ابتدائه فكأن تذكير النعم السالفة يُطمع في النعم الآتية، وذلك الطمع مانع من إظهار المخالفة والمخاصمة...."(١٨)

٢. الحوار الاستدعائي:

ومن النماذج المتميزة في هذا السياق، قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ} [الأنعام: ٩١]

فالحوار هنا استدعائي تقويمي؛ لأنه يستدعي من أهل الكتاب معرفتهم السابقة بأن التوراة كتاب نزل بالوحي، وتقويم إنكارهم للوحي الجديد من خلال تذكيرهم واقع الوحي القديم في التوراة، ولأن هذا الحوار أثار الوعي العقائدي وكشف التناقض فإنه يعد نموذجاً مثالياً للحوار الذي يحفز الضمير المعرفي مع تقويمه في الوقت ذاته، فجمع بين إيقاظ الضمير واستنهاض العقل.

وهذه الآية بلا شك تشير مباشرة إلى اليهود، يقول الزمخشري في كتابه الكشاف "...والقائلون هم اليهود، بدليل قراءة من قرأ: تَجْعَلُونَهُ بالتاء. وكذلك تُبْدُونَها وَتُخْفُونَ وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فألزموا ما لا بدّ لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى عليه السلام،...."(١٩)

٣. الحوار التأسيسي:

ومن النماذج على هذا النوع قوله تعالى: {قل يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ} [آل عمران: ٦٤]

فالحوار في الآية يهدف إلى تأسيس علاقة حوارية تُبنى على التمهيد المشترك، وهو ما يعادل بما يسمونه في علم المناظرة ب (الاتفاق على المسلمات قبل النقاش) وهذا حوار تشريعي رُوعي فيه الهوية الدينية للمحاوَر في قوله" **أهل الكتاب**" هذا يعكس رغبة القرآن في إيجاد مساحة مشتركة قبل طرح القواعد للحوار وهما اثنتان لا ثالث لهما:

- توحيد الله أولاً وعدم الإشراك به.
- عدم منح البشر مجملاً حق الربوبية.

فربط الحوار أولاً بالتوحيد الذي هو جوهر الرسالة مما عكس مقصدا دعوياً راقياً.

٤. الحوار الحجاجي:

أهم نموذج حواري يبرز هذا النوع من الحوار في القرآن متمثل في الآية: {أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠} [البقرة: ١٤٠]

هذا الحوار يرفض دعوة أهل الكتاب في أن الأنبياء ملتهم يهود ونصارى، فرد عليهم باستفهام تقريري إنكاري" **قل أأنتم أعلم أم الله**"؟ ثم يقر عليهم الظلم لكتمانهم الحق الذي يعلمونه، ويختم الحوار بتحذير من أن الله مطلع على أعمالهم.

٥. الحوار الأخلاقي:

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: {يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ} [آل عمران: ٧١]

فهذا حوار مباشر لأهل الكتاب لم يمارس التوبيخ المباشر بالكشف عن أسلوب بلاغي هو فساد الباطن رغم صلاح الظاهر، وهو ما يربي في النفس مبدأ الصدق الفكري، ويدعو إلى أن يكون الحوار مبنياً على الشفافية لا على المغالطة واللبس.

وقد أشار الزمخشري إلى هذا المعنى بقوله " تلبسون: شُبه باللباس بجامع الصون كل صاحبه على طريق المكانية." (٢٠)

وهو ما يعكس كيف أدان القرآن الكريم هذا السلوك ليس فقط من باب الجدال، بل من منطلق أخلاقي يدين الخداع والتزوير، وهذا أحد أسس الحوار النزيه.

٦. **الحوار الإنذاري:**

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا} [النساء: ٤٧]

في هذا المقام الحواري اقتصر على أن من تقوم عليه الحجة هم "من أوتوا الكتاب" أما الذين أوتوا نصيبا منه فهذا يعني أنهم على علم جزئي، وهنا تظهر دقة القرآن الكريم في انتقاء الألفاظ المناسبة في المقام المناسب، فهو يقيم الحجة والإنذار على أهل الكتاب بناء على معرفتهم الكاملة بما في أيديهم -من ذلك البشارات بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم - كما يميز بين هؤلاء وبين الجاهلين منهم المعاندين في الكفر، فهذا ليس مقامهم في الحوار والإنذار. (٢١)

المطلب الثاني: أساليب وسائل القرآن الكريم في محاورة أهل الكتاب:

احتل الخطاب في القرآن الكريم مكانة رفيعة، إذ يعد أداة إصلاحية ومنهجاً دعوياً متكاملاً، يظهر من خلاله عمق الرسالة الإلهية في محاورته للمخالف، إلا أنه تميز بمحاورته لأهل الكتاب بمنهج أكثر دقة جمعت بين الحزم والحكمة والمجادلة بالتي هي أحسن لما تحوَّل حالهم من التحريف والتناقض.

إي انطلقت هذه الأساليب من مبدأ راسخ يتمثل في قوله تعالى: {ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ} [النحل: ١٢٥]

وتدرج الحوار مع أهل الكتاب حسب هذا التوجيه، مستندا إلى حجج عقلية ونقلية تدفع بالشبهة وتقيم الحجة وفي الوقت ذاته تحفظ أدب الخطاب وجمال التعبير، وبيان تلك الأساليب والوسائل فيما يلي:

أولا: الأساليب البيانية وتتمثل في الآتي:

١. **الاستفهام التوبيخي:**

وهو من أهم الأساليب البلاغية التي وظفها القرآن الكريم لمحاورة أهل الكتاب، خاصة حينما يكون الغرض منه التوبيخ وكشف التناقض في المعتقدات والسلوك من ذلك قوله تعالى: { يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ} [آل عمران: ٧٠] وقوله تعالى: {يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١} [آل عمران: ٧١] ،

وقوله: {قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ} [آل عمران: ٩٩].

القصص القرآني:

والمقصد من السرد القصصي أنه يعتبر أداة نقدية تحمل معنى العظة والعبرة ومن القصص التي وجهت لأهل الكتاب قصص موسى مع بني إسرائيل، وعيسى مع قومه.

كقوله تعالى: {وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ} [مريم: ١٦] وقوله: {وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ} [مريم: ٤١] وقوله: {وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ} [مريم: ٥١].

ضرب الأمثال:

المثل في القرآن يجمع بين الإيجاز والبلاغة، وإيصال المعاني المعبرة إلى ذهن السامع بوضوح.

من ذلك قوله تعالى: {مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ} [الجمعة: ٥]. فيه تصوير بليغ لحال اليهود الذين أوتوا العلم ولم يعملوا به، فحرمو من أثره كما يحرم الحمار من الاستفادة بما يحمله على ظهره.

وقد أشار الرازي إلى أن هذا التشبيه قمة في البلاغة وذلك بكشفه بُعد أهل الكتاب في إخفاء ما أُنزل إليهم. (٢٢)

٢. **الوعظ والتذكير:**

من ذلك تذكير أهل الكتاب بعهودهم ومواثيقهم التي نقضوها مراراً؛ وذلك لإيقاظ الحسّ الإيماني بخطاب وجداني كقوله تعالى: {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ} [البقرة: ١٢٢].

فإن نسبة النعمة إلى ياء المتكلم في قوله: "**نعمتي**" فيه مزيد من التشريف إذ نسبها إليه-جل جلاله- وأردفها بقوله:" **فضلتكم على العالمين**" وذلك لاستمالة قلوبهم وليؤسس للحوار انطلاقا من الإحسان قبل العقاب، وفي الوقت ذاته يقطع آمالهم في طمعهم بأنهم أبناء الله-تعالى الله عما يقولون-.

ثانيا: الأساليب العقلية: ومن ذلك:

١) **الاستدلال العقلي و إقامة الحجة:**

وهي أداة مركزية في حوار القرآن الكريم مع أهل الكتاب، وقد كان هذا الأسلوب حاضراً وبشدة في الآيات خصوصاً التي تدعو إلى التفكر والنظر.

من ذلك قوله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ} [آل عمران: ٥٩].

وهذا استدلال عقلي، قارن بين خلق عيسى وآدم، وُظف هذا الاستدلال لنقل التصور اللاهوتي عند النصارى دون التصريح المباشر به، مما يبرز سمو الخطاب القرآن، والزمخشري يقول كلاماً جميلاً في هذا" ولأن الوجود من غير أب وأم أقرب وأخرق للعادة من الوجود بغير أب، فشبه الغريب بالأغرب، ليكون أقطع للخصم، وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه"(٢٣)

٢) **إبراز التناقضات:**

وهو منهج آخر يعد الأهم في مواجهة الحقيقة لأهل الكتاب، من خلال كشف التناقض بين ما يعتقدون وما يمارسون.

وجاء واضح الدلالة في قوله تعالى: {أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ} [البقرة: ٨٥].

وهذا السؤال ليس مجرد استفهام لبيان التعجب من حالهم، بل هو كشف وتوبيخ يصور الازدواجية في المواقف عند أهل الكتاب، وينقض دعواهم في التزامهم بالشريعة، وهذا الأسلوب يدفع بالمحاوَر إلى إعادة النظر دون الشعور بالعداء والإقصاء.

٣) **نقض الحجة بإثبات غياب البرهان:**

جاء في مواضع عديدة، فبعد أن طالب القرآن أهل الكتاب بإثبات دعواهم ثم يعجزو عن الإتيان بها، بين لهم غياب الدليل فقال: { قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ} [البقرة: ١١١] والشوكاني أورد في تفسيره لهذه الآية قول ابن جرير" ...طلب الدليل هنا يقتضي إثبات النظر ويرد على من ينفيه"(٢٤) وهنا يُلاحظ أن النص يجبر المخاطب على مراجعة دعواه فإن أورد البرهان وإلا سقطت دعواه بعينها.

٤) **الإبطال بإثبات النقائض:**

مثل بيان القرآن الكريم أن بعض ما يدعيه أهل الكتاب ينقضه الواقع، كاستدلاله على بطلان دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه بوجود العقوبات التي حلت بهم فقال عنهم: {وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ} [المائدة: ١٨].

هنا عدم صمود دعواهم للواقع والمنطق يجعل الادعاء ينقلب عليهم.

٥) **كشف التحريف:**

سأفرده بمطلب خاص، وأفصل فيه لأنه يعد مادة خصبة تحدث عنه المحاورون المسلمون كابن تيمية، والجويني، ورحمة الله الهندي وغيرهم.

المبحث الثالث: مقاصد أهل الكتاب من التحريف وموقف القرآن الكريم منها:

تناوُل هذا الجانب في البحث له أهمية لا يستهان بها، إذ إنه يمثل قضية محورية في التراث الإسلامي، وقد ترتبط بما يواجهه المسلم اليوم من التحديات الفكرية والدينية، ونحن نشعر اليوم بأن طرح مثل هذه الجوانب في الأبحاث العلمية ليست فقط من الناحية الجدلية والانتصار على الآخر، بل الهدف الأساسي هو الدفاع عن الوحي في الرسالة الخاتمة وتأكيد مصداقية القرآن الكريم في إظهاره للتحريف عند أهل الكتاب، وكشف أساليبهم بالإضافة إلى أن هذا النوع من الدراسة تشحذ من همة الباحث لتعزيز الوعي والنقد.

"ومن ثمرات الوقوف على الأديان والمذاهب والفرق المخالفة أن يعتز المؤمن الصادق بالحق الذي يحمله، ويفرح باليقين الذي يدين به، وذلك إذا رأى ما عليه غيره من التخبط والضياع، في دياجير الظلمة والضلال، ثم إن ذلك باب عظيم من أبواب الدعوة إلى الله..".(٢٥)

المطلب الأول: أنواع التحريف عند أهل الكتاب:

بعد أن أشار القرآن الكريم إلى وقوع التحريف من أهل الكتاب تصريحاً وتعريضاً فإن مقتضى البحث أن نورد بعضاً من نماذج التحريف على سبيل الإيجاز، لندرك مدى دقة القرآن الكريم في تحديده لأنواع التحريف وأساليبه، وهي دراسة تطبيقية في ضوء النقد الإسلامي للنصوص.

١) **التحريف بالزيادة:**

جاء في سفر الخروج أن الله تعالى أمر موسى أن يعد بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر بسنة وشهر واحد فعد جميع قبائلهم فقال: " هؤلاء أكابر البيوتات في قبائلهم حنوخ وفر وحصرون وخرمي وبنو بوبان ذكر، ولد اسماعيل هذه هي قبائل روبان" الخروج ١٤:٦.

ثم ذكر في سفر العدد" عددهم كان ٤٦,٠٠٠ رجل لم يعد فيهم من له أقل من ٢٠ سنة ولا من لا يطيق الحرب" العدد ١: ٢٠-٢١.

ثم أردف بعد ذلك ذكر أعداد كل قبيلة، إلا أنها مناقضة تماما للواقع السكاني في ذلك العصر، فكيف يعقل مثلا أن يبلغ عدد المقاتلين من بني إسرائيل ممن له سن ال ٢٠ وصاعداً ٦٠٠,٠٠٠ ونيفا فضلا عن الشيوخ والنساء والأطفال؟ هذه الأعداد لا تتناسب مع عدد أبناء يعقوب وأحفاده الذين لم يتجاوزوا ال ٦٠ شخصاً عند دخولهم إلى مصر، ثم إن اعتبارنا تكاثرهم بهذه الطريقة المهولة فإنها حقيقة لا تستقيم حتى مع أبسط المعايير الطبيعية في ذلك الوقت باعتبار المدة الزمنية أولاً منذ دخولهم مصر حتى خروجهم منها وهي ما تقدر ب ٢١٧عام.

ثم اعتبار بعض العوارض قد تحول دون كثرتهم بهذه الشاكلة، كصعوبة الأمر بالتناسل بسبب كثرة القتل لصبيانهم في العهد الفرعوني أولاً، ثم الإسقاط في الحوامل وما تعرض له بنو إسرائيل من الجوع والذل في مصر، وإنما قصدهم من هذه الزيادة: التضخيم وإظهار الهيبة المصطنعة لبني

إسرائيل وتاريخهم، كما أعدوها وسيلة ناجحة لإقناع الأتباع لهم بسمو شأنهم واختصاصهم بالبركات والاصطفاء، وهو ما يدخل في التزوير المتعمد وتحريف الكلم عن مواضعه بطريقة ممنهجة مدفوعة بنوازع التعصب القومي والرغبة في صناعة تاريخ وهمي يعزز الموقف الديني والسياسي.(٢٦)

وابن حزم يضع معادلة منطقية تنفي هذه الأعداد بقوله" فيا للناس كيف يمكن أن ينتسل من ولادة ٥١ رجلا فقط في مدة ٢١٧ عاماً أزيد من الفي ألف إنسان؟

وقد لاحظت أمراً غريباً وهو إخفاء عدد بعض المقاتلين مثل اللاويين، من وجهة نظري أرى أن هذا الأسلوب يعرض الأعداد بأسلوب فيه تمويه لحقيقة التعداد السكاني بطريقة تبدو معقدة ويجعل الرقم الكلي مقارباً لما كتبوه.

٢.التحريف بالنقص:

والسبب وراء هذا التحريف هو غياب الدقة في النقل للروايات المتعلقة بالوقائع التاريخية الكبرى، وهو نمط قد يُسقط جزء من النص أو معلومة أساسية منه، أو قد يُحذف بالكلية وهذا يؤدي إلى اضطراب الفهم وتشويش الصورة الحقيقية.

ومن ذلك تعدد الروايات في تحديد يوم الصلب فبعضها تشير إلى يوم الجمعة، إلا أنه يوافق يوم الفصح أو يوم الغفران، بينما تفيد روايات أخرى أن الصلب وقع يوم السبت أو الأحد، وهذا الاضطراب في تحديد يوم الحدث الذي يمثل ركن مركزي في العقيدة المسيحية يكشف لنا عن الخلل البيّن في عملية النقل والتوثيق، وهذا يجعل المتأمل يطرح تساؤلاً: كيف يكون الترجيح في هذه الرواية؟، هل بإسقاط جزء منها أو التناقض في النقل بين روايات الجماعات الدينية المختلفة في أهوائها ومقاصدها؟

هذا ما يندرج تحت مسمى" التحريف بالنقص" والذي تناوله علماء المسلمين بالنقد. (٢٧)

والشواهد على هذا النوع من التحريف كثيرة، ومن ذلك تعليق رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق عند إدراكه وجود بعض النصوص في رسالة بولس إلى أهل رومية ولا توجد في النسخة العبرانية يقول".. فلا تخلو من كونها إما أسقطها اليهود من العبرانية فهذا هو التحريف بالنقصان، وإما زادها المسيحيون في تراجمهم لإصلاح كلام مقدسهم **بولس** وهذا هو التحريف بالزيادة، فأحد التحريفين لازم قطعا".(٢٨)

٣.التحريف بالتبديل:

يقصد به تبديل الألفاظ والعبارات وقد يصل الأمر إلى التلاعب بتشكيل الكلمات.

ومن أخطر المواضيع التي استعمل فيها هذا النوع من التحريف هي تلك التي تتعلق بطبيعة المسيح، منها ما علق عليه الحسن البصري وأورده الطوفي في كتابه التعليق على الأناجيل قال: رأى النصارى في الإنجيل" يا عيسى أنت نبي وأنا ولّدتك" أي أخرجتك مولودا، فخففوا اللام ونسبوا الولادة إلى الله تعالى، وهذا التحليل للتحريف يظهر أنه لم يكن فيما جاء به عيسى مما يذكر في التوليد إلا هذه اللفظة.[٢٩]

وهو يعد أشد وأخطر أنواع التحريف لأنه لا يعتمد على الزيادة أو النقصان، بل يبدل الحقيقة ويغير ملامح الرسالة.

وهدفهم من هذا النموذج الذي أوردته في هذا المجال هو ترسيخ معتقد التجسيد الإلهي وتأليه المسيح عليه السلام، وإن جعلوه بطريقة تحمل المعنى المجازي إلا أنهم أرادوا به المعنى الحرفي لدعم فكرة التجسيد، هذا في الحقيقة يستدعي التأمل في أسباب هذا التبديل وسياقاته التاريخية والسياسية التي شكلت الأناجيل لتصبح على ما هي عليه اليوم.

٤. التحريف بالتناقض:

من ذلك التناقض صعود عيسى -عليه السلام- حسب تأويلهم أنه بعد صلبه ودفنه قام من قبره وصعد إلى السماء بجسده، والتناقض وقع في موعد صعوده.

فمرقس يؤكد أن صعود المسيح كان من يومه بعد أن كلم تلاميذه تكليما[٣٠]

أما **لوقا** فقال: إنما صعد بعد قيامه ب ٤٠ يوما[٣١] ، وهذا تكاذب فظيع[٣٢]، الاختلاف الجوهري في تحديد زمن حدث يُعد أحد ركائز العقيدة المسيحية دليل واضح على اضطراب النصوص وهو وقوع التحريف بلا شك، والذي يزيد التناقض وضوحاً ما جاء في نص لوقا عن مريم المجدلية وقصة بكائها عند قبر المسيح وتسأل من يدلها على جسده، ذكر هذا الشاهد في الرواية يؤكد كذب أحد الروايتين من منظور مسيحي، إذ لا يجتمع قول صعوده بنفس يوم القيامة[٣٣] مع التأكيد على صعوده بعد قيامه ب٤٠ يوما، ودعم هذا القول بشهادة مريم المجدلية، ثم كيف يحدث له هذا عن جهل من المقربين له بمعرفة مصيره.

وهذه النماذج ليست إلا غيض من فيض وهي نماذج محدودة من بحر لا ساحل له، فالنصوص لدى أهل الكتاب حافلة بالأمثلة على التحريف بأنواعه المختلفة من الزيادة والنقص والتبديل، سواء كان التحريف باللفظ أو بالمعنى أو بكليهما كما قسمه علماء المسلمين إلا أن البحث لا يتسع لتفصيل هذا المجال؛ لأن الفكرة الرئيسية للبحث هي دراسة منهج القرآن الكريم لمواجهة التحريف، هذا يعني التسليم بوقوع ظاهرة التحريف إيمانا وتصديقا بما ورد في القرآن الكريم عن إقرار التحريف، وذكر بعض النماذج هو تدعيم لمحتوى البحث لا أكثر.

والذي يتفحص هذه النصوص بعين الباحث النبيه يجد أن مجال الوقوف عليها مجال خصب لم يستوفِ حقه وهذا يتطلب المزيد من الجهد في التحقيق والمقارنة.

والخلاصة: أن الجهل بتاريخ نسخ تلك التي يسمونها الكتب المقدسة، وحالها من الصلاح والترجمة "كل هذا يؤدي إلى الطعن في صحة هذه الكتب والشك في مصدرها".(٣٤)

المطلب الثاني: مقاصد أهل الكتاب من التحريف ومنهج القرآن في معالجتها:

يمكن طرح التساؤل هل كان تحريف أهل الكتاب للنصوص مجرد انحراف أو خلل في التلقي؟، أم كان فعلاً واعياً يحمل مقاصد متعددة كالهيمنة السياسية مثلا؟، وكيف تصدى القرآن الكريم لذلك باعتبار أن التحريف أخذ أشكالاً متعددة كالتحريف باللفظ وبالمعنى والكتمان والإخفاء والتبديل لبعض النصوص.(٣٥)

ثم إن هناك أنواعاً أخرى للتحريف كالتحريف الصوتي في الكلمات واللحن المتعمد كما جاء عنهم في استعمال كلمة(راعنا) أي: انظرنا، إلا أن اليهود أرادوا منها السخرية بما تعني في اللغة العبرية، فرد الله عن هذه الكلمة وقال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة: ١٠٤] (٣٦)

ومقاصد أهل الكتاب من التحريف:

أولاً: احتكار النبوة ببني إسرائيل دون العالمين:

وهذا القصد اختص به اليهود دون النصارى، واعتقادهم بهذا الأمر دفعهم إلى التحريف، وبخاصة النصوص التي تبشر بنبي من غير بني إسرائيل، وبناء على هذا المعتقد:

- ألغو كل شريعة لأمم أخرى.
- زاد التعزيز للشعور بالعصبية القومية والدينية.
- تأويل البشارات التي تشير إلى نبوة محمد لتكن خاصة ببني إسرائيل.

وقد صرح القرآن الكريم بهذا المقصد فقال تعالى: {أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ } [البقرة: ٧٥]

ثانياً: استعمال التحريف كأداة للتشريع المنحرف:

وذلك لتكييف النصوص بما يتفق مع أهوائهم، فعند تحريف النصوص الشرعية يضيف مشروعية الإباحة على أفعالهم المحرمة، وقد حكى القرآن الكريم عن هذه التشريعات التي حُرفت مثل: أكل الربا، مخالفة السبت، قتل الأنبياء وغيرها.

قال تعالى: {فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا} [النساء: ١٦٠] فهم بهذه التشريعات لم يعفوا أنفسهم من الالتزام الديني فحسب، بل ألزموا

الآخرين بقصد استنزاف أموالهم، ثم إنهم أسقطوا الحدود الشرعية والأحكام حسب ما تقتضيه المصلحة.

وبهذا هل نستطيع القول إنهم جعلوا من السلطة الدينية وسيلة لترويج الفساد من خلال التحريف؟

ثالثا: النيل من المسلمين:

وذلك بالتركيز على أمور ثلاثة:

الأول: محاولة التشكيك في القرآن الكريم والقضاء عليه، وقد بذلوا جهوداً لا يستهان بها من ذلك تقديم خدمة تفسير القرآن بلغات متعددة وحشوها بالتفاسير الباطلة، ظهرت هذه المكائد بعد مسح الدراسات القرآنية عند المستشرقين كما بينها محمد خليفة حسن في دراسته: دراسة القرآن عند المستشرقين في ضوء العلم نقد الكتاب المقدس.

الثاني: تنصير المسلمين قال تعالى: {وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ } [النساء: ٨٩]. فهناك طائفة منهم تحرص على دعوة الناس للمكر والخداع والنفاق، هذه الطائفة ميزها القرآن عن الطائفة الأخرى التي وصفت بصفات الإيمان في قوله تعالى: {وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۗ} [آل عمران: ١٩٩].

الثالث: النيل من شخصية الرسول-صلى الله عليه وسلم-: فهم لا يملوا من عهد الرسول حتى اليوم، باستمرار الإساءة لنبينا، ونشر الأفلام المسيئة له والرسوم المشوهة لشخص النبي وقصدهم أن يترك المسلمون هدي النبي-صلى الله عليه وسلم- (٣٧)

ومحاولات أهل الكتاب بالتحريف من أجل هذا المقصد أي: التركيز على إفساد المسلمين، كثيرة، والحقيقة أنها إمتداد لنهج قديم، من الشواهد على هذا ما نقله القاضي التنوخي" بعض اليهود كانوا يقولون لبعض المسلمين لا يفسد عليكم هذا كتابكم (يقصدون: أبو الحسين بن الراوندي كان أبوه يهودياً، فأسلم) كما أفسد أبوه التوراة علينا" (٣٨)

والحقيقة أن هذا يدعو إلى الحيطة والحذر والذود عن الوحي الإلهي، والسكوت عن أي نوع من أنواع التحريف لا يعد حياداً، بل تواطئاً وتظليلاً، أيضاً إذا كانت مثل هذه التصريحات قد جاءتنا من عند أنفسهم فهل تبقى حجة قائمة على من يكابر بعد هذا البيان؟

رابعاً: تحقيق مكاسب سياسية أو سلطة دينية:

عندما يصبح النص الديني أداة للسياسة والتعصب فإنه يصبح عرضة للتحريف والتبديل، ولأنهم لديهم رغبة شديدة في السيطرة وأن يبقوا في الصدارة مهما كلفهم ذلك من جهد في تحقيق

المنافع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، مرتكزين على أساس واه، وهو التحريف في نصوص الوحي الإلهي.

فرجال الدين مثلاً اعتمدوا احتكار تفسير النصوص قديماً لعامة الناس، وبالتالي تحريفها من أجل ضمان الهيمنة، يقول الله تعالى عنهم: {وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ} [آل عمران: ١٨٨]، يقول ابن عاشور في هذا " وهذا ضرب آخر جاء به فريق آخر من أهل الكتاب فلذلك عبر عنهم بالموصول للتوصل إلى ذكر صلته العجيبة من حال من يفعل الشر والخسة ثم لا يقف عند حد الانكسار لما فعل أو تطلب الستر على شنعته، بل يرتقي فيترقب ثناء الناس على سوء صنعه، ويتطلب المحمدة عليه.[٣٩]

ومن خلال دوافع ومقاصد أهل الكتاب من التحريف يتضح لنا أنها جمعت بين الانحراف العقدي والسعي للسطو الدنيوي، وهذه الرؤية ليست قاصرة على التاريخ القديم، بل ظلت تحمل نفس الملامح حتى اليوم، فهي ليست من قبيل المصادفة إذن، ومن هنا جاءت المعالجة القرآنية للوقوف في وجه الانحراف.

الفرع الثاني: منهج القرآن الكريم في معالجته لظاهرة التحريف عند أهل الكتاب:

القرآن الكريم عالج هذه الظاهرة بطرق متعددة منها:

١. إظهار التحريف وفضح التلاعب بالنصوص:

كشف القرآن التحريف عند أهل الكتاب بأسلوب مباشر فسمى الفعل باسمه وفضح الدوافع التي أدت إليه، فقال تعالى: {فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ} [البقرة: ٧٩]

وقال أيضا: {مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ} [النساء: ٤٦]

وقال أيضاً: {يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ} [المائدة: ٤١]

وهذا الأسلوب في غاية الدقة لمعالجة التحريف، حيث بين أنواعه وطرقه، سواء كانت تحريفاً للنص المباشر أثناء تنزيله أو التأويل الفاسد الذي يخرج الكلام عن مقصده، وهنا نجد الفرق بين الآيتين **"عن مواضعه"** و **"من بعد مواضعه"** حيث يظهر الفرق بين الحالتين: بمعنى أن التحريف في الأولى يقصد به التحريف في التأويل والتنزيل معاً، وبمعنى آخر، التحريف باللفظ والمعنى في زمن وقوع النص.

بينما في الآية الثانية وقع التحريف بعد استقرار النص في مواضعه وأوقاته فجاء التحريف بعد ذلك بالنقل المشوه للصورة الحقيقية، وتحديد القرآن الكريم لأساليب التحريف وفق سياق هاتين

الآيتين يظهر أن القرآن لم يكتفِ فقط بإثباته للتحريف جزافاً، بل حدد أنواع التحريف وزمانه ووسائله بدقة منهجية لغوية وبيانية.(٤٠)

٢. أسلوب التحدي والإلزام بالحجة:

قال تعالى: {كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ} [آل عمران: ٩٣]

في هذه الآية يلزمهم القرآن الكريم بما في أيديهم إلا أن أهل التحريف لهم أساليبهم الخاصة في الرد على ما حرفوه، وقد أشار ابن عثيمين-رحمه الله- إلى هذا الأمر بقوله" وأما أهل التحريف والتأويل فهم الذين يقولون: إن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال إلا ما هو الحق في نفس الأمر، وإن الحق في نفس الأمر هو ما علمناه بعقولنا، ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات التي يحتاجون فيها إلى إخراج اللغات عن طريقها المعروفة...." (٤١)

هذا التشخيص الدقيق يظهر أن أصحاب هذا المسلك لا يطلبون فقط مراد المتكلم، بل يسعون إلى فرض رأيهم وقناعتهم السابقة على النصوص، مما يجعلهم كما وصفهم ابن عثيمين:" كاذبين على من تأولوا كلامه".

وبهذا أظهر القرآن الكريم خطورة التحريف وعالجه بأسلوب مزدوج، أولا: يفضح أسلوبهم بالتأويل الفاسد، ثم ثانياً: يلزمهم بالحجة بما لا يدع مجالاً للتحريف والتلاعب.

٣. أسلوب تصحيح المفاهيم:

وذلك بإعادة النصوص إلى نصابها ودحض ما يخالفها من العقائد والأفكار، من ذلك قوله تعالى: {وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨} [النساء: ١٥٧-١٥٨] هنا استخدم القرآن الكريم أسلوب النفي القاطع الذي لا شك فيه لتصحيح المفهوم المحرف عند اليهود والنصارى على حد سواء بشأن عيسى -عليه السلام-، مؤكدا أن القتل والصلب لم يقعا، بل شبه لهم، ثم إن القرآن لا يكتفي بتفنيد الرواية، بل يكشف الدوافع العقائدية والسياسية، ويضع حداً واضحاً بين الحقيقة والافتراء المحرف لأغراض دنيوية أو توحيدية..(٤٢)

٤. الربط بين تحريفهم الحالي وتحريفهم التاريخي

قال تعالى: {أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ} [البقرة: ٧٥].

فيه بيان صريح بأن التحريف ليس حالة عارضة وإنما هو جزء من سلوك متكرر في تاريخهم، وقد بين ابن عاشور أن التحريف قد يشمل إخراج النصوص عن مقاصدها الصحيحة بالتأويل البعيد معتبرا أن هذا النوع هو الأكثر شيوعا، كما أشار -رحمه الله -إلى أن هذه الممارسة لم تكن تصدر عن الجهل، بل عن معرفة تامة وإصرار على الانحراف وهو ما عبر عنه القرآن بقوله تعالى" وهم يعلمون" أي يدركون الحق لكنهم يحرفونه عمداً.

يدعم ابن عاشور هذا المعنى بالاحتكام إلى القياس على طبيعة الأمم فهو يرى أن تحريف " النخبة" من العلماء والأحبار دليل على انحطاط العامة لأن خاصتهم هم مظهر الفضائل في كل أمة فإذا فسدت الخاصة دل ذلك على فساد العامة وهذا شمول تحليله لكلمة" **فريق**" في الآية[٤٣].

وبهذا عالج القرآن هذا النوع من التحريف بربطه مع جذور أصل الفعل في الماضي العقدي والاجتماعي لأهل الكتاب، في تقديري بعد الدراسة لهذه الجزئية المهمة فإن التحريف عند أهل الكتاب يبرز حجم التوتر الديني الذي استمر منذ الأزل.

الخاتمة

وختاماً: فإن هذه الدراسة قد أظهرت ولو بجزء ميسر لعمق الرؤية القرآنية في الحوار مع أهل الكتاب، والتي جمعت بين إظهار الحق ثم إقامة الحجة، مع الحفاظ على المستوى الراقي في الحوار القرآني بأساليب الحكمة والرحمة والحزم وتقرير مصير المخالف، والذي ينبغي أن يكون منهج المسلم في الدعوة إلى الله.

وبناء على هذا فقد خرجت الدراسة بعدة نتائج وتوصيات:

النتائج:

١) الكشف عن ظاهرة التحريف بأسلوب صريح ودقيق محدداً لأساليبه ودوافعه وأهدافه.

٢) أظهرت الدراسة أن التحريف لم يكن مجرد خطأ بشري عارض، بل إنه سلوك ممنهج له أبعاده المختلفة.

٣) تميز القرآن في منهج معالجته للتحريف بالموضوعية بأن جمع بين الحكمة والحزم في إظهار الحق وإبطال الباطل.

٤) وجوب تطبيق الحوار كما جاء في القرآن الكريم مع أهل الكتاب في الواقع المعاصر، بشرط اتباع منهجه في كشف الحقائق بالحكمة والموعظة وليس بالصدام والجدال.

٥) المنهج القرآني له حق الأسبقية في ظهور علم نقض النص المقدس، باعتبار أنه أول من حفز العقل الإنساني للبحث عن تعدد المصادر.

التوصيات:

وانطلاقا من هذه النتائج فإن البحث يوصي بما يأتي:

إعداد برامج تدريبية متخصصة لطلاب الدراسات الشرعية على فنون الحوار في القرآن الكريم والسنة والرد على النصوص المحرفة داخل الإطار المنهجي لمقررات حوار الأديان.

دعم المؤسسات والمواقع الرقمية التي تُعنى بالحوار مع المخالفين.

تأسيس موسوعات علمية رقمية توثق أنماط التحريف مع أمثلته، لتعزيز جهود الباحثين وسهولة الوصول إليها.

التوسع في البحث العلمي المختص بالتحريف فهو مجال خصب لم يستوفِ حقه من البحث والدراسة.

هوامش البحث:

(١) ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، ج١٥، ص ٣٨٣.

(٢) بدوي: عبد الرحمن، **مناهج البحث العلمي**، ص٥.

(٣) الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني طيب، **تاج العروس**، ج٤، ص ٤١.

(٤) المصدر السابق، ص ١٠١.

(٥) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج١٠، ص٧.

(٦) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير**، ج١، ص ٣٩٩.

(٧) الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (ج١١، ص و٩٨،٩٩ .

(٨) ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، **لسان العرب**، ج٤، ص ٢١٨-٢١٩.

(٩) الجويني: أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله، **الكافية في الجدل**، ت: فوقية حسين محمود، ص٢٨.

(١٠) الأصفهاني: أبي القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، ص ٦٤٤.

(١١) الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار، **آداب البحث والمناظرة**، ص ١٣٩.

(١٢) الباجي: أبو الوليد، **المنهاج في ترتيب الحجاج**، ص٣.

(١٣) ابن القيم: محمد ابن أبي بكر، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ج٣، ص ٨٠٨.

(١٤) عمر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج١، ص ٤٧٥.

(١٥)شبالة، ماجد محمد على أحمد. (٢٠١٤). **الأبعاد العقدية في نداءات القرآن الكريم لأهل الكتاب**. مجلة القلم، ع١ ، ٨٢ - ١٠٨. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/937724 ص ٨٦.

(١٦) **المصدر السابق**، ص ٩٠.

(١٧) أبو زهرة: محمد، **تنظيم الإسلام للمجتمع**، ص ٥١.

(١٨) الرازي: محمد بن عمر بن الحسن، **مفاتح الغيب**، ج٣، ص٤٧٧.

(١٩) الزمخشري: محمود بن عمر بن أحمد، **الكشاف**، ج٢، ص ٤٤.

(٢٠) المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٢.

(٢١) الرازي، **مفاتح الغيب**، ج١٠، ص ٩٥.

(٢٢) الرازي: محمد بن عمر ابن الحسن، **مفاتح الغيب** ، ج٣، ص ١٤٠.

(٢٣) الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص ٣٦٧.

(٢٤) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير**، ج١، ص ١٥١.

(٢٥) الطوفي: نجم الدين سليمان عبد القوي، **التعليق على الأناجيل الأربعة وكتب الأنبياء ال ١٢ والتوراة**، ت: موسى بن محمد الزهراني، ص٥.

(٢٦) ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد القرطبي، **الفصل في الملل والآراء والنحل**، ت: سمير قدوري، ج٢، من ص ٢٨١ إلى ص ٣٠٢.

(٢٧) القرقساني: أبو يوسف يعقوب، **الأنواروالمر اقب**، ت: حسين عبد البديع حسين، ج١، ص ٥٦.

(٢٨) الهندي: محمد رحمت الله ابن خليل، **إظهارالحق**، ت: محمد أحمد ملكاوي، ج١، ص ٥٢٨.

(٢٩) الطوفي: نجم الدين سليمان بن عبد القوي، **التعليق عن الأناجيل الأربعة**، ص ٧٠-٧١.

(٣٠) مرقس:١٦: ٩- ١٩. في سياق طويل

(٣١) أعمال الرسل: ١: ٣.

(٣٢) الجعفري: صالح بن الحسين، **تخجيل من حرف التوراة والإنجيل**، ت: محمود عبد الرحمن قدح، ج٢، ص٣٠٠.

(٣٣) (**القيامة**) في العقيدة المسيحية وفي هذا السياق تعني: عودة المسيح إلى الحياة بعد موته ودفنه، ويعرف ب " **قيامة المسيح**" من القبر بعد صلبه (حسب الرواية المسيحية) وهي عقيدة مركزية في الإيمان المسيحي.

(**٣٤**) بخوش، عبد القادر. (٢٠٠٣). **التحقيق التاريخي والعلمي للإنجيل**. مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع١٤، ١٥ - ٢٧. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/643695 ص٢١.

(٣٥) أبو راس: هود محمد منصور، **الخطاب القر آني لأهل الكتاب وموقفهم منه قديما وحديثا**، (ماليزيا، جامعة ملايا، ٢٠١١م، ص ٢١٣-٢١٤.

(٣٦) الزمخشري، **الكشاف**، ج١، ص ١٧٤.

(٣٧) أبو راس: هود محمد منصور، **الخطاب القر آني لأهل الكتاب**، (نقل بتصرف) من ص ١٩٩ إلى ٢٠٥.

(٣٨) التنوخي: المحسن بن علي، **نشوارالمحاضرة وأخبارالمذاكرة**، ت: عبود الشاجلي ، ج٤، ص ١٥٢.

(٣٩) ابن عاشور: محمد الطاهر، **التحريروالتنوير**، ج٤، ص ١٩٣.

(٤٠) الإسكافي: محمد بن عبد الله الأصبهاني، **درة التنزيل وغرة التأويل**، ت: محمد مصطفى آيدين، ص ٤٣٥ إلى ص ٤٤٠. (نقل بتصرف).

(٤١) ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، **درء تعارض العقل والنقل**، ت: محمد رشاد سالم، ج١، ص١٢.

(٤٢) أبو زهرة: محمد بن أحمد بن مصطفى، **زهرة التفاسير**، ص ١٩٥١.

(٤٣) ابن عاشور، **التحريروالتنوير**، ج١، ص ٥٦٧، ٥٦٨.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- العهد القديم والجديد.

١. ابن القيم، محمد بن أبي بكر .(2019) .*زاد المعاد في هدي خير العباد* .(ط٣). الرياض: دار عطاءات العلم، ج٣.

٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم .(1991) .*درء تعارض العقل والنقل* .تحقيق: محمد رشاد سالم. (ط٢). السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود، ج١.

٣. ابن حزم، علي بن أحمد القرطبي .(2023) .*الفصل في الملل والآراء والنحل* .تحقيق: سمير قدوري. (ط١). تونس: دار المالكية، ج٢.

٤. ابن عاشور، محمد الطاهر .(1984) .*التحرير والتنوير* .(د.ط). تونس: الدار التونسية، ج٤.

٥. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل .(1993) .*لسان العرب* .(ط٣). بيروت: دار صادر، ج٤.

٦. أبو راس، هود محمد منصور .(2011) .*الخطاب القرآني لأهل الكتاب وموقفهم منه قديماً وحديثاً* . ماليزيا: جامعة ملايا.

٧. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى. (د.ت) .*زهرة التفاسير* .(د.ط). د.م: دار الفكر العربي.

٨. أبو زهرة، محمد .(1965) .*تنظيم الإسلام للمجتمع* .(د.ط). القاهرة: دار الفكر العربي.

٩. الإسكافي، محمد بن عبد الله الأصبهاني .(2001) .*درة التنزيل وغرة التأويل* .تحقيق: محمد مصطفى آيدين. (ط١). مكة: جامعة أم القرى.

١٠. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. (د.ت) .*المفردات في غريب القرآن* .(د.ط). د.م: مكتبة نزار مصطفى البار.

١١. الألمعي، زاهر عوض .(1984) .*مناهج الجدل في القرآن* .(ط٣). د.م: د.ن.

١٢. الباجي، أبو الوليد .(2001) .*المنهاج في ترتيب الحجاج* .تحقيق: عبد المجيد تركي. (ط٣). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

١٣. بخوش، عبد القادر. (٢٠٠٣). التحقيق التاريخي والعلمي للإنجيل .*مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية* ، (14)، ١٥-٢٧ .مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/643695

١٤. التنوخي، المحسن بن علي .(1995) .*نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة* .تحقيق: عبود الشاجلي. (ط٢). بيروت: دار صادر، ج٤.

١٥. الجعفري، صالح بن الحسين .(1998) .*تخجيل من حرف التوراة والإنجيل* .تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح. (ط١). الرياض: مكتبة العبيكان، ج٢.

١٦. الجويني، عبد الملك بن عبد الله أبو المعالي. (د.ت) .*الكافية في الجدل* .تحقيق: فوقية حسين محمود. (د.ط). القاهرة: مطبعة عيسى الحلبي.

١٧. الرازي، محمد بن عمر بن الحسن .(1999) .*مفاتيح الغيب* .(ط٣). بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج٣.

١٨. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني .(2001) .*تاج العروس من جواهر القاموس* .(د.ط). ج١١.

١٩. الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد. (1987). *الكشاف*. (ط٣). بيروت: دار الكتاب العربي، ج٢.
٢٠. شبالة، ماجد محمد علي أحمد. (٢٠١٤). الأبعاد العقدية في نداءات القرآن الكريم لأهل الكتاب. *مجلة القلم*، (1)، ٨٢-١٠٨. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/937724
٢١. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. (2019). *آداب البحث والمناظرة*. تحقيق: سعود بن عبد العزيز العريفي. (ط٥). الرياض: دار عطاءات العلم.
٢٢. الشنقيطي، محمد بن محمد بن مختار. (د.ت). *شرح زاد المستقنع*. مستخرج من دروس صوتية (رقم الدرس ١٣٩). مسترجع من https://shamela.ws/book/7696/2618#p1
٢٣. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. (1993). *فتح القدير*. (ط١). دمشق: دار ابن كثير، ج١.
٢٤. الطوفي، نجم الدين سليمان عبد القوي. (2016). *التعليق على الأناجيل الأربعة وكتب الأنبياء الاثني عشر والتوراة*. تحقيق: موسى بن محمد الزهراني. (ط١). قطر: مؤسسة وعي.
٢٥. القرقساني، أبو يوسف يعقوب. (2019). *الأنوار والمراقب*. تحقيق: حسين عبد البديع حسين. (ط١). القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ج١.
٢٦. الهندي، محمد رحمت الله بن خليل. (1998). *إظهار الحق*. تحقيق: محمد أحمد ملكاوي. (ط١). الرياض: الإدارة العامة للطبع والترجمة، ج١.

Arabic references:

1. Ibn al-Qayyim, Muhammad ibn Abi Bakr. *Zad al-Ma'ad fi Hady Khayr al-'Ibad*. (3rd ed.). Riyadh: Dar 'Ata'at al-'Ilm, 2019. Vol. 3.
2. Ibn Taymiyya, Ahmad ibn 'Abd al-Halim. *Dar' Ta'arud al-'Aql wa-l-Naql*. ed. by Muhammad Rashad Salim. (2nd ed.). Saudi Arabia: Jami'at al-Imam Muhammad ibn Sa'ud, 1991. Vol. 1.
3. Ibn Hazm, Ali ibn Ahmad al-Qurtubi. *Al-Fasl fi al-Milal wa-l-Ara' wa-l-Nihal*. ed. by Samir Qadduri. (1st ed.). Tunis: Dar al-Malikiya, 2023. Vol. 2.
4. Ibn 'Ashur, Muhammad al-Tahir. *Al-Tahrir wa-l-Tanwir*. (d.t.). Tunis: al-Dar al-Tunisiyya, 1984. Vol. 4.
5. Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram ibn Ali Abu al-Fadl. *Lisan al-'Arab*. (3rd ed.). Beirut: Dar Sadir, 1993. Vol. 4.
6. Abu Ras, Hud Muhammad Mansur. *Al-Khitab al-Qur'ani li-Ahl al-Kitab wa-Mawqifuhum minhu Qadiman wa-Hadithan*. Malaysia: Jami'at Malaya, 2011.
7. Abu Zahra, Muhammad ibn Ahmad ibn Mustafa. *Zahrat al-Tafasir*. (d.t.). (d.t.). (n.p.): Dar al-Fikr al-'Arabi.
8. Abu Zahra, Muhammad. *Tanzim al-Islam li-l-Mujtama'*. (d.t.). Cairo: Dar al-Fikr al-'Arabi, 1965.
9. al-Iskafi, Muhammad ibn 'Abd Allah al-Isbahani. *Durat al-Tanzil wa-Ghurrat al-Ta'wil*. ed. by Muhammad Mustafa Aydin. (1st ed.). Mecca: Jami'at Umm al-Qura, 2001.

10. al-Asfahani, Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad. *Al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an*. (d.t.). (d.t.). (n.p.): Maktabat Nizar Mustafa al-Bar.
11. al-Alma'i, Zahir 'Awad. *Manahij al-Jadal fi al-Qur'an*. (3rd ed.). (n.p.): n.p., 1984.
12. al-Baji, Abu al-Walid. *Al-Minhaj fi Tartib al-Hujaj*. ed. by 'Abd al-Majid Turki. (3rd ed.). Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 2001.
13. Bekhush, 'Abd al-Qadir. "Al-Tahqiq al-Tarikhiyy wa-l-'Ilmi li-l-Injil." *Majallat Jami'at al-Amir 'Abd al-Qadir li-l-'Ulum al-Islamiyya*, 14 (2003), 15–27. Retrieved from http://search.mandumah.com/Record/643695
14. al-Tanukhi, al-Muhsin ibn Ali. *Nishwar al-Muhadara wa-Akhbar al-Mudhākara*. ed. by 'Abbud al-Shajali. (2nd ed.). Beirut: Dar Sadir, 1995. Vol. 4.
15. al-Ja'fari, Salih ibn al-Husayn. *Takhjil man Harrif al-Tawrah wa-l-Injil*. ed. by Mahmud 'Abd al-Rahman Qaddah. (1st ed.). Riyadh: Maktabat al-'Ubaykan, 1998. Vol. 2.
16. al-Juwayni, 'Abd al-Malik ibn 'Abd Allah Abu al-Ma'ali. *Al-Kafiya fi al-Jadal*. ed. by Fawqiyya Husayn Mahmud. (d.t.). Cairo: Matba'at 'Isa al-Halabi.
17. al-Razi, Muhammad ibn 'Umar ibn al-Hasan. *Mafatih al-Ghayb*. (3rd ed.). Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, 1999. Vol. 3.
18. al-Zabidi, Muhammad Murtada al-Husayni. *Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus*. (d.t.). 2001. Vol. 11.
19. al-Zamakhshari, Mahmud ibn 'Umar ibn Ahmad. *Al-Kashshaf*. (3rd ed.). Beirut: Dar al-Kitab al-'Arabi, 1987. Vol. 2.
20. Shabalah, Majid Muhammad Ali Ahmad. "Al-Ab'ad al-'Aqdiyya fi Nida'at al-Qur'an al-Karim li-Ahl al-Kitab." *Majallat al-Qalam*, 1 (2014), 82–108. Retrieved from http://search.mandumah.com/Record/937724
21. al-Shanqiti, Muhammad al-Amin ibn Muhammad al-Mukhtar. *Adab al-Bahth wa-l-Munazara*. ed. by Saud ibn 'Abd al-'Aziz al-'Arifi. (5th ed.). Riyadh: Dar 'Ata'at al-'Ilm, 2019.
22. al-Shanqiti, Muhammad ibn Muhammad ibn Mukhtar. *Sharh Zad al-Mustaqni'*. (d.t.). Extracted from recorded lessons (No. 139). Retrieved from https://shamela.ws/book/7696/2618#p1
23. al-Shawkani, Muhammad ibn Ali ibn Muhammad. *Fath al-Qadir*. (1st ed.). Damascus: Dar Ibn Kathir, 1993. Vol. 1.
24. al-Tufi, Najm al-Din Sulayman 'Abd al-Qawi. *Al-Ta'liq 'ala al-Anajil al-Arba'a wa-Kutub al-Anbiya' al-Ithnay 'Ashar wa-l-Tawrah*. ed. by Musa ibn Muhammad al-Zahrani. (1st ed.). Qatar: Mu'assasat Wa'i, 2016.

25. al-Qirqisani, Abu Yusuf Ya'qub. *Al-Anwar wa-l-Maraqib*. ed. by Husayn 'Abd al-Badi' Husayn. (1st ed.). Cairo: al-Hay'a al-Misriyya li-l-Kitab, 2019. Vol. 1.
26. al-Hindi, Muhammad Rahmat Allah ibn Khalil. *Izhar al-Haqq*. ed. by Muhammad Ahmad Malkawi. (1st ed.). Riyadh: al-Idarah al-'Amma li-l-Tiba'a wa-l-Tarjama, 1998. Vol. 1.